النجح في النهايات الرجوع إلى الله في البدايات

للمريد بداية ونهاية فبدايته حال سلوكه ونهايته حال وصوله فمن صحح
بدايته بالرجوع إلى الله تعالى والتوكل عليه والاستعانة به كما ذكر فالح
وانجح في نهايته وكان وصوله إلى الله تعالى وأمن عليه من الرجوع والانقطاع
قال بعض المشايخ ما رجع من رجع إلا من الطريق ولو وصلوا ما رجعوا
ومن لم يصحح ذلك كما ذكرناه من تعلقه بالحول والركون إليه من نفسه والخلق
انقطع ورجع من حيث جاء وقال بعض العلماء من ظن أنه يصل إلى الله بغير
الله قطع ومن استعان على عبادة الله بنفسه وكل إلى نفسه فعلى
العبد السالك أن يجعل اعتماده أوله الاستعانة بالله على ما هو بسبيله
ولا يرى حول نفسه ولا قوته في كثير من عمله ولا قليله فهذه أهم أساس
السلوك التي ينبني عليها قواعده **من أشرقت بدايته أشرقت**
نهايته هذه عبارة أخرى موافقة لمعنى ما تقدم والإشراق بداية المريد
برجوعه إلى الله تعالى في مهماته وثقته به في ملماته وإشراق نهايته الوصول
إلى قربته والحصول في حضرته **ما استودع في غيب السرائر**
ظهر في شهادة الظواهر هذه بيان علامة يعرف بها
حال المريد السالك وما انطوى به باطنه من المزيد المستدرك لأن الظاهر
مرآة الباطن كما قيل الأسرة تدل على السريرة وما خامر القلوب فعلى
الوجوه يلوح أثره فما استودع الله تعالى القلوب والأسرار لا بد أن تظهر

أثر

٢٤

أثره على الجوارح فيستدل بمشاهد العبد على غائبه من ازدياد صحبته
والوصلة به وما أشبه هذا من الأغراض والمقاصد قال أبو حفص رضي
الله عنه حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن وقال النبي صلى الله
عليه وسلم لو خشع قلبه لخشعت جوارحه وقيل لما ورد أبو حفص
العراق جاء إليه الجنيد فرأى أصحاب أبا حفص وقوفا على رأسه يأتمرون بأمره
لا يخطئ منهم أحد فقال يا أبا حفص أدبت أصحابك أدب الملوك فقال لا يا أبا
القاسم ولكن حسن الأدب في الظاهر عنوان أدب الباطن قلت وأكد في ذلك
أن يعرف المريد نفسه ويحذر من أمرها على حسب ما ولا ينخدع بما يتوهمه
من صلاح سريرته وعلانيته فمن ادعى بقلبه معرفة الله تعالى ومحبته ولم
تظهر على ظاهره ثمرات ذلك وآثاره من الصحيح بذكره والمسارعة إلى
اتباع أمره والاغتباط بوجوده والاستبشار عند يقين شهوده والفرار
من القواطع الشاغلة عنه والانفراد عن الوسائط المبعدة عنه فهو
كذاب في دعواه متخذ إلهه هواه فإن كان موصوفا بأضداد هذه
الخصال مغترا بالظاهر وعادة الاعتدال فهو في دعواه كذاب وحاله
إلى الشرك والنفاق أقرب قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه وقد
جعل الله تعالى وصف الظالمين برأيهم إذا ذكر الله وحده في شيء انقبضت
قلوبهم وإذا ذكر غيره فرحوا وجعل من نعت المؤمنين أنهم إذا ذكر الله تعالى
وجلت قلوبهم وإذا دعوا إلى شيء عظموا ذلك وكرهوه وإذا أشركوا به في ذلك

Copyright © King Saud University